الفصل الحادى عشر

الفلسفة والدين
فى القرن الثالث

إن فى بحث الفلسفة والدين فى فصل واحد فائدة محققة ، لوقوع التداخل بين المجالين فى كثير من الأحيان . ثم إن تعاليم الرواقية دينية وفلسفية على السواء . والدين القائم على أساس النجوم مشتق من الفلسفة والعلم .

وعلى الرغم من اضمحلال أثينا السياسى وفقرها فقد ظلت التعاليم الفلسفية نقطة الانطلاق . ومن أجل ذلك يجب أن تبدأ دراسة الفلسفة الهللينية ببيان عن الظروف الأثينية . إن المدارس الأربع الكبرى هى : الأكاديمية ، والليقيوم ، والحديقة ، والرواق ، ولا بد أن نضيف إليها الجهود المشتتة التى بذلها الكلبيون والشكاك[1] .

الأكاديمية :

بعد وفاة أفلاطون سنة ٣٤٧، أشرف على المدرسة ابن أخيه سبوسيبوس (٣٤٧ — ٣٣٩) ، ثم كسينوكراتيس (٣٣٩ — ٣١٥) وبوليمون (٣١٥ — ٢٧٠)، وكراتيس الأثينى (٢٧٠ — ٢٦٨ — ٤) . هؤلاء الرجال الأربعة — وجميعهم أثينيون فيما خلا كسينوكراتيس، وقد جاءوا خلقدونية (قرب مدخل البسفور) — كانوا رؤساء المدرسة الأصلية أو الأكاديمية القديمة .

وعند وفاة كراتيس سنة ٤٢٦٨، كان أركيسيلاوس البيتانى (أيوليس، ميسيا) رئيساً للمدرسة، فوجهها توجيهاً جعل الناس يطلقون عليها اسم الأكاديمية الجديدة. لقد خاض فى جدال مع الرواقيين ، فعارض قطعيتهم ، وأحيا اتجاهات الشك الكامنة عند سقراط ، وأفلاطون ، بل بيرون ؛ واشتد فى معارضة تمسكهم بالأمور الأخلاقية . فألح بضرورة التفكير الواضح والشك المنطقى . وقد كان

هذا ملائمًا للمزاج العلمى عند أهل العصر . ونما شك الأكاديمية الجديدة على يدى خليفة أركيسيلاوس المسمى لاكيدس البرقاوى (٢٤١ — ٢٢٤ / ٢) وحظى رؤساؤها الأوائل برعاية ملوك برجامة ، فأركيسيلاوس رعاه يومينيس (المتوفى سنة ٢٤١) ، ولاكيديس رعاه أتاللوس سوتر الأول (حكم من ٢٤١ إلى ١٩٧) . وكان أتاللوس راعيًا كبيراً للفنون والآداب ، منح لاكسديس حديقة للتعليم جديدة (لاكيديون) ، ودعاه إلى المجيء إلى برجامة ، فاعتذر لاكيديس عن الدعوة اعتذاراً رقيقًا جدًّا .

وخلف لاكيديس ، تلكليس (٢٢٤ / ٢ — ٢١٦) وايفاندروس الفوكيانى (٢١٦ —) وهيجيسينوس البرجامى . ومن الجائز أن يكون إشراف آخر هؤلاء إنما بدأ فى القرن الثانى .

ذكرنا أسماء رؤساء الأكاديمية دلالة على استمرار هذا المعهد ودلالة كذلك على انحلاله بالتدريج . لقد كان أوائل خلفاء أفلاطون — سبويسبوس وكينوكراتيس — فلاسفة ورياضيين مرموقين . أما من أشرفوا على المدرسة فى القرن الثالث — بوليمون وكراتيس وأركيسيلاوس ولاكيديس وتلكليس وإيفاندروس — فيكادون يكونون من المنسيين وليس لأسمائهم فى ذاكرتنا رنين .

مدرستا ميجارا وبرقة :

يجمل بنا قبل أن نتحدث عن المدارس الأثينية الأخرى أن نورد نبذة قصيرة عن المدرستين الإقليميتين ، مدرستى برقة وميجارا[٢] . ومدرسة ميجارا أسسها إقليدس الميجارى (حوالى ٤٥٠ — ٣٨٠) أحد تلاميذ سقراط ، وما نعرفه عنه قليل . وقد تلقت المدرسة إلهامها من برمنيدس والإيليين ، ولم تبق أكثر من جيلين من المعلمين . وخلف إقليدس ، ستلبون الميجارى (حوالى ٣٨٠ — ٣٠٠) الذى يبدو أنه كان معلمًا نابهًا حظيت المدرسة فى عهده بصيت ذائع . وكان ستلبون تلميذاً لديوجينيس الكلبى ولإقليدس ، فأضاف ميولا كلبية لتعاليم إقليدس هذا . وترجع قوة تأثيره إلى شخصيته أكثر

مما ترجع إلى طرافة مذهبه . وأسس منيديموس، أحد تلاميذه ، مدرسة فلسفية جديدة فى بلده إريتريا (فى يوبويا Euboia وهى جزيرة قريبة من أتيكا) وكان معلماً وصديقاً لأنتيجونوس جوناتاس . ولم تعمر المدرسة الإرترية زمناً طويلا . ولا نستطيع أن نذكر إلا تلميذاً يسمى كتيسيبيوس، وقد وجه النقد إلى تعاليمها ، الرواقى سفيروس البوريستينى (عاش على الأقل حتى ٢٢١) .

وأكبر الظن أن المدرسة الميجارية لم تعش حتى ذلك الحين .

أما المدرسة البرقاوية Cyrenaic فقد أسسها أحد تلاميذ سقراط المباشرين أريستيبوس البرقاوى ، وقد كان من الآخذين بالمذهب العقلى والنازعين إلى مذهب اللذة ، وكان تعليمه تطويراً للأبيقورية ، وواصلته ابنته أريته وابنها أريستيبوس الصغير وأنتيباتروس البرقاوى ، وتيودوروس الملحد (وهو لعمرى خليط من الأسماء عجيب) . وهيجيزياس وأنيقيرس الصغير . وقد انتهى الأمر قبل نهاية القرن الثالث، ولكن المعلمين بأشخاصهم أثروا فى فلاسفة آخرين . وقد اختلفت آراء الثلاثة الأخيرين، وربما كان الواجب فى هذه الحالة ألا تستعمل كلمة المدرسة إلا على سبيل المجاز .

هذه الوقائع لا أهمية لها إلا بقدر ما تدل على حب الفلسفة حباً أخذ بألباب اليونانيين ، فجعل المدارس الأثينية عاجزة عن أن تشبع رغباتهم، فاحتاجوا إلى مدارس إقليمية فى ميجارا وأريتريا، وبرقة ، وربما فى جهات أخرى . ولست أعرف مثالا آخر على مثل هذه الوفرة فى العالم كله . ومرجع ذلك جزئياً إلى الافتقار إلى دين ذى سلطان ، وإلى مخالفة العرف القائم ، وهى نزعة طبيعية لدى اليونانيين ، وفيها تكمن قوتهم وضعفهم فى آن واحد .

الليقيوم والرواق والحديقة

كان الليقيوم أسعد حظاً من الأكاديمية من حيث إن مؤسسه قد خلفه اثنان من ذوى العبقريات العظيمة . لم تلبث رياسته له سوى

ثلاث عشرة سنة (٣٣٥ — ٣٢٣) . ولكن ثيوفراستوس الأرسوسى أشرف عليها ٣٨ سنة (٣٢٣ — ٢٨٦) وستراتون اللمبساكى منظم المتحف الإسكندرانى زهاء تسع عشرة سنة (٢٨٦ — ٢٦٨) . أما خليفته ليكون التراوسى الذى تولى رياسة الليقيوم ٤٤ سنة (٢٦٨ — ٢٢٥) فكان قليل الأهمية نسبيًّا .

بعد لوكون جاء أريستون الأيولى (كيوس) ، وبفضله اطلع ديوجينيس لائرتيوس على تراجم رؤساء المدرسة الأربعة الأوائل ومؤلفاتهم ووصاياهم . وكان أرسطون أقرب إلى الأدب منه إلى الفلسفة . سلك الطريق الذى بدأه ثيوفراستوس بكتابه عن « الأخلاق » ، واحتذى مثال الكلبى الأكاديمى بيون البوريستينى (حوالى ٣٢٥ — ٢٥٥) . وبقى الليقيوم فى عصره الذهبى أقل من سبعين سنة (٣٣٥ — ٢٦٨) .

ولنلاحظ أنه بينما كانت الأكاديمية فى صميمها مدرسة أثينية ، كان الليقيوم القديم فى أيدى مشرفين أجانب ؛ كان أرسطو مقدونيًّا وثيوفراستوس من لسبيا ، وستراتون من ميسياوليكون من طروادة ، (الثلاثة الأخيرون جاءوا من إقليم واحد فى شمالى غربى الأناضول) . ومع ذلك فالرئيس الأخير للقيوم أقرب إلى أن يكون أثينيًّا ، لأن الجزيرة التى ولد فيها — كيوس — قريبة جدًّا من أتيكا .

وأهم هذه المدارس جميعاً وأبعدها أثراً الرواقية أو « ستوا » . ولا مبالغة فى الكلام عن أهمية الرواقية فيما يتصل بالأخلاق والسياسة : ففى عصر اتسم بالفوضى وانحلال الأخلاق كانت أفضل من رفع علم الذود عن الفضائل الشخصية والاجتماعية ، وأشادت بالضمير والواجب ، وبالاعتقاد بالعناية والإذعان للقدر [٣] والتوفيق بين حياة الإنسان وبين الكون (أو الطبيعة) كما أشادت بطاعة الله وبالسكينة (أتاراكسيا) ؛ أى الخلو من الاضطراب ، وبالانسجام بين إرادة الإنسان وإرادة الله ، (يودايمونيا) وبالاكتفاء بالذات (أوتاركيا) ، وأشادت كذلك بالمساواة والمشاركة وبالزمالة بين الناس وبالعدالة

والأخوة (كوثينونيا)[٤] . كانت الرواقية أرفع المذاهب الأخلاقية فى العالم القديم ، وانعقد لها لواء السيادة على النفوس والسلطان على العقول حتى نهاية الوثنية .

ولسوء الحظ لم يهتم الرواقيون بالعلم إلا قليلا ، وناصروا الكهانة (مانتيا) والتنجيم . وفى مجال الأخلاق كانت مذاهبهم شديدة التجريد والبرودة ، قليلة التعرض للجوانب الشخصية ، وهذا مما يفسر الانتصار الأخير للمسيحية على الرواقية ، إذ حرص المسيحيون على الكلام عن المحبة والإحسان والرحمة .

كان أول معلمى المدرسة زينون الكيتيونى (٤ — ٢ ق . م.) ، ويغلب أن يكون من أصل فينيقى، وقد عاش حتى سنة ٢٦٤ — وهو لذلك ينتمى إلى القرن الذى نكتب عنه، كما ينتمى إلى القرن الرابع . ومن تلاميذه برسايوس الكيتيونى وسفيروس البرويستينى . وأول من خلفه على رأس الرواقية كليانتيس الأسوسى (٣ — ١ ق . م.)، وكريسيوس الصولى (٣ — ٢ ق . م.) . ولم يكن كليانتيس فيلسوفاً فحسب عمل على إرساء دعائم المذهب الرواقى ، بل كان شاعراً ملهماً ومؤلفاً لأعظم أنشودة دينية فى اللغة اليونانية[٥] . أشرف على الرواق من سنة ٢٦٤ إلى ٢٣٢ ، وأشرف عليه كريسبوس من سنة ٢٣٢ إلى سنة ٢٠٧ . كان كليانتيس شاعراً فكانت فلسفته أحفل بالعواطف من فلسفة زينون . كان يرى الكون كائناً حياً ويرى الله نفسه والشمس قلبه . غير أنه صرح بأنه لا يمكن أن تقوم فضيلة بغير براءة نفس . ولكن كيف يكون الرجل العاطفى ذا براءة ؟ لقد كانت البراءة الرواقية رائعة ، ولكن انعدام التأثر الذى لا ينفصل عنها كان أقل روعة منها بكثير[٦] . أما كريسبوس فقد بلغت إضافاته إلى الفلسفة الرواقية من الكثرة والعمق مبلغاً جعل الناس يقولون إنه : « لولا كريسبوس ما كان هنالك رواقية » .

وكتب كريسبوس عدداً كبيراً من الكتب ، وكتب خليفته زينون الطرسوسى كتباً قليلة . ولكن فى ذلك الوقت (آخر القرن الثالث) كان صيت الرواقية قد طبق الآفاق حتى أصبح لزينون تلاميذ عديدون . وأغلب الظن أنه كان معلماً

ملهماً ، ولكن ما أصابه من نجاح يرجع خاصة إلى انتفاعه بحصيلة ما بذره أسلافه من قبل . جميع هؤلاء المعلمين الرواقيين كانوا أسيويين ما خلا سفيروس الذى كان من ستويا .

وكانت الحديقة كالرواق من وجوه عديدة . وربما كان التشابه بينهما راجعاً إلى اشتراكهما فى الانحدار من أصول شرقية ، وعلى الخصوص إلى التشابه بين الوظائف التى يؤديانها ، وإذا صح أن نحكم على الحديقة من المقتطفات المتعلقة بها وبمؤسسها قلنا إنها كانت أبسط وأبعد عن الكلفة من المدارس الأخرى . غلبت على أعضائها حياة التقشف بوجه عام . ولكن لم تلبث أن دبت فيها الحيوية والنشاط بتعود إقامة احتفالات موسمية من شأنها أن تقرب بين الأعضاء . وكان للنساء الحق فى الانخراط فى زمرة الإخوان (إننا واثقون من هذا لأن كثيرين من المعاصرين كانوا يستقبحون تلك البدع الجريئة ويشهرون بها تشهيراً) . وأول معلم فيها أبيقور ، جاء من ساموس ، والثانى هرمارخوس جاء من ميتيلين (لسبوس) . وقد بدأ تعليم أبيقور الأثينى فى سنة ٣٠٧ وعاش حتى سنة ٢٧٠ . ونستطيع أن نذكر رئيسين آخرين فقط فى القرن الثالث وهما بوليسترّاتوس (ويعاونه هيبوكايديس) وآخر يدعى ديونيسيوس (عاش حوالى سنة ٢٠٠) . وربما كان بوليسترّاتوس تلميذاً مباشراً لأبيقور ، وبعض كتاباته قد وصلت إلينا[٧] . والرجال الآخرون يكادون يكونون غير معروفين .

الكلبيون والشكاك :

لكى نكمل الصورة التى رسمناها للفلسفة فى القرن الثالث لا بد أن نقول شيئاً عن الاتجاهات التى لم تمثلها قط مدرسة معينة ، بل بقيت اتجاهات شخصية غير منظمة : إن التنظيم والتقنين أسباب قوة ولكنهما أسباب ضعف كذلك . فإن قوة منظمة ما ومجدها تؤثران فى صغار الناس ، وليس لها تأثير كبير فى العقول المبتكرة . وهذا ما وقع الكلبيين cynics والشكاك Skeptics .

كان لهم تلاميذ كثيرون هنا وهناك وإن يكن من العسير أن نتكلم عن مدرسة كلبية أو أخرى للشكاك . الكلبية والشك حالان من أحوال النفس ملازمتان لبعض الناس فى جميع الأماكن والأزمان . غير أن أول من عبر عن تلك الأحوال النفسية كانوا يونانيين وكان هذا شأنهم منذ القرن الرابع .

والشاك الأول أنيستنيس ، أحد تلاميذ سقراط ، ولكن أشهرهم ديوجينيس السينوبى الذى تحدى الإسكندر الأكبر . ومن بين التلاميذ المتأخرين نذكر أسماء[٨] أقراطيس الطيبى . والفتاة هيبارخيا . وأخاها متروقلتيس المارونى (فى طراقيا) . وأونيسكريتوس الاستغالى (نسبة إلى إحدى بلاد الدوديكانيز) وقد كان أنيستنيس الفيلسوف الوحيد من بينهم ، وكان الآخرون أشبه بالقساوسة أو القديسين ، يحاولون أن يحيوا حياة بسيطة ، ويزدرون الاشتغال بحطام الدنيا وصناعة الكلام .

وأول الشكاك الرسميين بيرون (حوالى ٣٦٠ — ٢٧٠) جاء من إيليس[٩] . وقد أبقى ذكره تلميذه تيمون الفليوسى . وكان له أصدقاء ومقلدون كثيرون إلى أيام مونتينى ومن بعده . وكل رجل من رجال العلم هو على نحو ما كلبى ، لأنه لا يقبل الألفاظ والمواضعات بما لها من قيمة ظاهرية . وهو شاك لأنه يرفض الاعتقاد بشىء بغير دليل صحيح .

وقد ساعدت الكلبية والشك على شيوع ميول تلتمس السكينة والاطمئنان . كما صنعت الرواقية والأبيقورية . وليس بعجيب أن نرى هذا العدد الكبير من الفلاسفة من مختلف الفرق يجمعون على فكرة الحاجة إلى البعد عن الهوى بغير الاعتزال عن الفوضى الضاربة أطنابها من حولهم ، ولن يجد الإنسان للسلام مكاناً فى غير نفسه التى بين جنبيه .

ملوك يرعون العلم

فى حين كانت أغلب الأعمال العلمية تتم فى الإسكندرية كاد يكون كل فيلسوف ممتاز قد عاش خارج حدود مصر . فملوك البطالمة لم يكونوا من مناصرى

الفلسفة . ولا أكاد أرى فيلسوفًا ناصروه ما عدا رجلا مثل أراتوستنيس الذى كان أول أمره من رجال العلم ، ورجلا مثل تيمون الفليوسى الذى نبغ فى الآداب .

أما ملوك البلاد الأخرى الهللينية فقد كانت أكرم وفادة لمحبى الفلسفة . فإن يومينيس الأول ملك برجامة (٢٦٣ — ٢٤١) شجع الأكاديمى أركيسيلاوس البيتانى ، كما أن خليفته أتاللوس سوتر الأول (٢٤١ — ١٩٧) شجع لاكيديس البرقاوى . أما سفيروس البروستينى — وهو رواقىّ — فقد كان صديقًا لملك أسبرطة كليومانس الثالث (كان ملكًا ٢٣٥ — ٢٢٢) ، وأعانه على محاولته إحداث ثورة اجتماعية ؛ وبعد أن فشل كليومينيس سنة ٢٢٢ احتمى مع راعيه بطلميوس يوئرجيتيس ، ولكنه سجن على يد فيلوباتر خليفة يوئرجيتيس ، وانتحر (٢٢٠ / ١٩) . أكان سفيروس معه فى مصر ؟ . وأن أكبر الراعين للفلسفة هو أنتيجونوس جوناتاس[١٠] الذى ساعد الكلبى بيون البروستينى والرواقى زينون الكنيوتى و برسايوس وكذلك منيديموس الأرترى . وقد كان أنتيجونوس هذا فيلسوفًا وراعيًا للفنون والآداب ؛ أراد أن يمكن لشهرة مقدونيا فى الخافقين .

الرواقية — تيخى

أكبر هذه الفلسفات أثراً هى الرواقية . وبتوجيهها وإرشادها استطاع اليونانيون أن يصبحوا رجالا ومواطنين صالحين . واستطاعت المدينة أن تتطهر من أدرانها وأن تدعم أركانها . ولما كان من مبادئهم الحياة على وفاق مع الطبيعة كان المنتظر منهم أن يناصروا دراسة الطبيعة دراسة محايدة . ولكنهم لسوء الحظ قد انحرفوا عن هذا السبيل . لكى نطيع الله يجب أن نعرف إرادته عن طريق الكهانة (مانتيا) . وأكثر صور الكهانة مهابة التنجيم ، ولذلك ناصروا دين النجوم وخرافات التنجيم المشتقة منه .

وأعان الرواقية على الاسترسال فى وهمها هذا الميتولوجيا اليونانية (التى لم تنس قط ولم تستأصل جذورها) والأفكار البابلية أو على الأصح الكلدانية التى أصبحت

جزءاً من الثقافة اليونانية فى عهد رعاية السلوقيين وما يشابهها من الأفكار المزدهرة فى مصر حينذاك والتى أضفى عليها الطابع الهللينى إبان حكم البطالمة .

والعناصر اليونانية الخالصة هى الإلهة تيخى (الحظ)، وفكرة الـ « مويرا » « أيسا » (المقدور)[١١] . ولما دقت الأفكار بتأثير علماء الميثولوجيا كان هنالك ثلاثة حظوظ ؛ أى ثلاث نساء لهن الأمر فيما كتب علينا من مقدور، كلوتو التى تغزل خيوط الحياة ، ولاخيزيس التى توزع الحظوظ ، وأتروبوس التى تقطع الخيط فى غير هوادة ولا لين [١٢] .

هذا مثل طيب لتهيئة فكرة مجردة على غرار ميثولوجى . إن فكرة المقدور (مويرا) قد حللت تحليلا شعرياً ، فمثل كل جزء بامرأة ، كلوتو ولاخيزيس أو أتروبوس . وأصبح ذلك للشعراء والنحاتين معين إلهام لا ينضب . ولم تكن هناك حاجة إلى بحث أو مناقشة ، فكل فنان يستطيع أن يستعيد الفكرة العامة للقدر أو جانباً منها ، الغزل والتوزيع وأخيراً تقطيع أتروبوس، النهاية المحتومة لكل قدر إنسانى، الموت الأسود (أترامورس) [١٣] . وتلقى كل واحد هذا الرمز على درجات متفاوتة من الحرفية أو الرمزية . وأشد جوانب الأسطورة سحراً هو أنها ليست منسوبة إلى أحد . من اختراع المقادير « مويراى» أو الآلهة والآلهات الأخرى ؟ . من المستحيل أن نعرف ذلك . إن الميثولوجيا جزء رئيسى من الفولكلور من أطلق اسم كلوتو ؟ . ومن سمى النبات والحيوان ؟ . إن الآلهة والآلهات الذين يرمزون لجوانب عديدة من الحياة والفكر قد اخترعها أشخاص مجهولون وعلى نحو خفى ، كما اخترعت أغلبية الكلمات وصيغ التصريف فى قواعد اللغة .

كانت العبقرية اليونانية فياضة فى اختراع الأساطير ، لأنها كانت فى صميمها شعرية . وإن فهم هذه الخاصية أيسر إذا قارناها بالعبقرية السامية . كان المسلمون أكثر جبرية من اليونانيين . وغالباً ما كانوا يعبرون عن فكرة « المقدور » (مويرا) بمترادفات (قسمة، أو نصيب) ، ولكنهم لم يتخيلوا النساء

رمزاً لتلك الفكرة وقضوا فى المهد على صورها الشعرية والفنية التى نستمتع بها أيما استمتاع فى الفنون والآداب اليونانية .

التنجيم

إن العناصر الفنية فى التنجيم ، وتفاصيل عبادة النجوم ، جاءت من بابل ومن مصر . إن المنازل الاثنى عشر لمنطقة البروج كان لكل واحد منها خواصه ، وكذلك للستة والثلاثين عقداً من عقود السنة المصرية . غير أن أهم الكواكب التى يعتمد عليها فى تفسير (هرمنيس) القدر هى « الكواكب » السبعة ، هليوس ، وسلين ، وهرمس ، وأفروديت ، وأريس وزيوس . وكرونوس أو الشمس ، والقمر ، وعطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل . وقد عملت موافقات دقيقة بين الأحداث الإنسانية من جهة وبين الحوادث النجومية وأحوال الكواكب من جهة أخرى ، و بتعبير آخر بين الكون الكبير والكون الصغير[١٤] . وكون الكواكب سبعة لا أكثر ولا أقل قد خلع عليها أهمية صوفية . وربما كانت القداسة التى يضفيها الناس على العدد سبعة فكرة بابلية . « قدرت للكواكب السبعة ألوانها المطابقة للطوابق السبعة فى المعبد البابلى ، وقدرت لها معادنها ونباتها وحيوانها . والحروف المتحركة السبعة فى حروف الهجاء اليونانية أصبحت علامة لها . ومنها جاء ذلك الاستعمال المستديم للعدد سبعة الذى لا يزال باقياً فى أسبوعنا الهلليني والذى ظهر فى « النائمين السبعة » (أهل الكهف) وعجائب الدنيا السبع ، والمراحل السبع لحياة الإنسان (التى أخذها شكسبير من التنجيم) ، وأثواب إيزيس السبعة ، وسلم « مترا » ذى الدرجات السبع . والأفراح السبعة للرجل الصالح فى سفر الرؤيا لسلاثيل[١٥] ، والملائكة والقوارير السبعة فى كتاب « الوحى وأبواب جهنم السبعة والسماوات السبع »[١٦] . وأقدم وثيقة فى هذا رسالة « الأسابيع » de hebdomadis المنسوبة إلى أبقراط ، وترجع إلى القرن السادس إن لم تكن قبله . وقد أورد هيجل أثراً غريباً من هذه الخرافة فى « الرسالة الفلسفية عن مدارات الكواكب » (١٨٠١) . وفيها « أثبت » أنه لا يمكن أن يكون هناك أكثر من سبعة كواكب[١٧] .

كيف رسخت أركان التنجيم هذا الرسوخ فى مصر فى زمان أريستارخوس وأراتوس؟ إن توازى التطور فى علم الفلك وفى التنجيم راجع إلى تقليدين مساعدين لتخيلات المنجمين. كان هناك التقليد اليونانى الذى بدأ بكتاب « تيماوس» وتبدى فى صورة أكثر بروزاً فى «أبينوميس»[١٨] . وإننا لنكاد نزعم أن التنجيم اليونانى كان ثمرة للنزعة العقلية اليونانية . وعلى أى حال نحسب أنه تلقى نوعاً من التبرير من فكرة الكسموس . من فكرة كون قد دبر تدبيراً محكماً بحيث لا يكون جزءاً مستقلا عن الأجزاء الأخرى وعن الكل . ألم يثبت هذا بالمد والجزر اللذين يحدثهما القمر والشمس ، وبحيض النساء ، وبمعارف الزراع عن القمر ، وبالاعتقاد العام فى الجنون[١٩] ؟ . ورؤية الإنسان للنجوم كان من شأنها إيجاد علاقة بينها وبين الناس . والمبدأ الأساسى فى التنجيم . وهو المطابقة بين النجوم والناس مطابقة تمكن النجوم من التأثير و الناس ، لم يكن مخالفاً للعقل . وهذا المبدأ الذى أيده العلم اليونانى جاء من إيران ومن بابل الفارسية . وتلقى أصحاب التنجيم البطالسة إلهاماً إضافياً من معاصريهم الكلدانيين (البابليين المحدثين).[٢٠] وكان هنالك تقليدان : أحدهما يونانى بابلى ، والثانى بابلى محض . وكان كلاهما فى الوقت نفسه سبباً فى ميلاد علم الفلك ، ولاهوت أودين ، وهو دين النجوم ، وكان شيوع التنجيم بين جميع الطبقات راجعاً إلى هذا التأليف .

إن الاختلاط الكبير فى الأفكار عن التنجيم حتى يومنا هذا راجع إلى أنه مهما يكن غرض أصحاب التنجيم وانحرافاتهم، فإن أساسهم التكنولوجى كان أساساً فلكياً . وإذا كان قدر الإنسان معتمداً على أوضاع الأفلاك والنجوم يوم ميلاده (أو حمله) ، فقد كان من اللازم تحديد هذه الأوضاع بقدر ما يمكن من الدقة . وقد كان ذلك مسألة فلكية محضة . وقد كان الاختلاط أكثر فى تلك الأيام بسبب خلط العلم بالدين .

كان أصحاب التنجيم فريقين ، فريق هو أكثر اتصالا بالعلم وقد سموا أنفسهم بالرياضيين ، وفريق هو أكثر تعلقاً بالدين . وهم القساوسة والعرافون

horoscopoi (هوروسكوبوى)[٢١] . وهؤلاء القساوسة كانوا إما يونانيين أو مصريين متشبهين باليونانيين ، ولم يقتصروا على التنجيم ، بل مارسوا صوراً أخرى كثيرة من الكهانة (مانتيا ، مانتيسى ، تخنى) .

ويستطيع المرء أن يستنتج وجود رسائل عديدة فى التنجيم كتبت فى مصر إبان القرن الثالث قبل الميلاد ، ولكن أغلبيتها ضاعت ، وربما كان أقدمها نصًّا منسوبًا إلى هرمس تريس ماجستوس[٢٢] (الأعظم ثلاث مرات) ، والترجمة اللاتينية لهذا النص اكتشفها فيلهم جوندل فى مخطوط متأخر جداً (المتحف البريطانى ، هارليانوس رقم ٣٧٣١ وتاريخه ١٤٣١) . وليس يوجد لهذا النص نسخة أقدم من هذه سوى أن أهم فصل من فصوله قد ترجم إلى الفرنسية (بيكار) بقلم أرنو كانكمبوا (١٤ : ١)[٢٣] ، لملكة فرنسا مارى اللوكسمبرجية[٢٤] . ظاهر أن « كتاب هرمس » Liber Hermetis أثر باق من رسالة يونانية مصرية ، وهى تشتمل على عناصر مصرية وتعبيرات من السلف الفارسيين ، وتبحث فى ٣٦ عقداً فى ٧٢ نجماً من المنازل اليونانية sphaera graecanica ونجوم أخرى من المنازل الأعجمية (sphaera barbarica)[٢٥] .

وكتاب هرمس تريس ماجستوس الأصلى لا يستطاع تحديد تاريخ له . ولكنا نقف على أرض ثابتة مع بيروسوس (٣ — ١ ق. م.) الذى كان الناقل الأكبر للتنجيم الكلدانى من بابل إلى الغرب[٢٦] .

ولنلاحظ أن كتابه « تاريخ بابل » قد أهداه إلى السلوقى أنطيوكس سوتر الأول (كان ملكًا من ٢٨٠ — ٢٦١) ، ويقال إنه أنشأ مدرسة التنجيم فى كوس . وهذا شائق للغاية ؛ لأنه يؤكد الأهمية الثقافية لهذه الجزيرة الواقعة ستراتيجيا على تقاطع الطرق التى تربط بين اليونان ومصر والأناضول وسوريا[٢٧] . ولقد ولد أبقراط هنالك وأصبحت موقعًا لواحدة من أقدم المدارس الطبية ، فلا غرو أن نسمع أنها كانت أيضًا مهداً لأقدم مدارس التنجيم . كان فى استطاعة الطلاب أن يصلوا إلى كوس من القارات الثلاث فى غير عناء ، وكان فى استطاعة

طلاب الطب خلال تجوالهم فى تلك الجزيرة الصغيرة جداً أن يغيروا طريقهم المألوف ، ليجلسوا بين يدى بيروسوس ، ولعل فى ذلك ما يفسر ما وجد فى الكتابات الطبية المتأخرة مثل كتابات جالينوس (٢ — ٢) من تخيلات متعلقة بالتنجيم .

ويغلب على الظن أن سودينيس (أوسودينوس) البرجامى كان من تلاميذ تلك المدرسة إن لم يكن تلميذاً لبيروسوس نفسه . ولم تكن الرحلة طويلة من كوس لبرجامة . ويمثل سودينوس النظرة اليونانية البابلية ؛ نظرة الجمع بين مختلف الآراء . وقد كتب شرحاً على أراتوس ، ولكنه اشتهر قروناً بسبب جداوله القمرية ذات الأصل الكلدانى . عاش فى برجامة فى عهد أتالاوس سوتر الأول (وكان ملكاً من سنة ٢٤١ إلى ١٩٧) ، وغزا جزءاً كبيراً من أراضى السلوقيين وربما وضع يده أو اختطف الفلكيين الكلدانيين .

دعنى أذكر عدداً آخر من أصحاب التنجيم من أهل القرن الثالث قبل الميلاد . أشار فتروفيوس إلى تلميذين آخرين من تلاميذ بيروسوس . هما أنتيباتر وأخينا بولوس ، ضاعت كتاباتهما ؛ وهما اللذان أوضحا أن طالع الشخص يجب أن يقام على يوم الحمل لا على الميلاد ؛ وتلك كانت فكرة صحيحة ولكن كيف فكرا فى تنفيذها[٢٨] . توجد مقتطفات يونانية لنص من النصوص الهرمسية يسمى « سالمشنياكا » ، من أصل مصرى (حوالى سنة ٢٥٠ ؟) . ربما كان أبوللونيوس الميندوسى (ميندوس على شاطىء كاريا ، قريبة جداً من كوس) وأبيجينيس البيزنطى من أهل العصر نفسه ، وربما كانا من تلاميذ مدرسة بيروسوس . وقد ناقش أبوللونيوس وأبيجينيس النظريات الكلدانية عن المذنبات ولم يوافقا عليها . وفى رأى أبيجينيس أن الكلدانيين كانوا يعتبرون المذنبات تجمعات نارية من دوامات هوائية ، وفى رأى أبوللونيوس أن الكلدانيين كانوا يعتبرونها كواكب يمكن أن تحصى مداراتها . والفرض الأبوللونيوسى قد أقره سنكا (١ — ٢) الذى اختتم كلامه بهذه الكلمات التى تنبئ عن المستقبل فقال : « سيولد يوماً ما رجل يكتشف مدارات المذنبات والأسباب التى جعلت مساراتها مختلفة أشد

الاختلاف عن مسارات الكواكب الأخرى . فلنقنع إذن بالاستكشافات التى حققناها إلى يومنا هذا ، حتى تتهيأ للأجيال القادمة أن تضيف ذرة إلى الحقيقة[٢٩] . هذه الملاحظات المذهلة قد تبعدنا عن العصر الهللينى ، وإن كانت لا تبعدنا عنه كثيراً . ما دام سنكا قد كتبها حوالى سنة ٦٣ قبل الميلاد[٣٠] .

إن جزءاً كبيراً من معارفنا المتعلقة بالتنجيم فى العصور الوسطى مشتق فى نهاية الأمر من الكتب الهللينية ، كتب هرمس وغيره . وهذا فى الغالب صحيح بالنسبة للكتب اللاتينية المترجمة من اللغة العربية .

والسمة البارزة من سمات التنجيم البطلميوسى هى خلوه من الاهتمام بحياة الإنسان بعد الموت خلواً تاماً . هذه النصوص دينية فى صميمها ، ولكنها قد تجنبت الخوض فى المسائل المتصلة بالجنة والنار والحياة الأخرى . وهى من هذا الوجه مختلفة جداً عن كتابات التنجيم الهندية والمسيحية[٣١] .

ولقد زاد رواج التنجيم فى البيئات العلمية بتأييد من الرواقية . وكان هذا طبيعياً على نحو ما بسبب تصور الرواقيين للكون ، ونظرتهم إلى شموله واندماج الإنسان فيه وتنسيقه له و « تعاطفه » معه[٣٢] . لقد كانوا مستعدين لقبول « المطابقة » البابلية والاتصال المتبادل بين الكون الكبير والكون الصغير . فإذا أضفت إلى ذلك اعتقادهم فى العرافة أصبح التنجيم سائغاً لا غبار عليه . والصعوبة الكبرى التى اعترضتهم هى التوفيق بين « القدر » و « العناية » (بين « مويرا » و « برونويا ») بين الجبرية والحرية والواجب . وقد انشغل اللاهوتيون المسيحيون بهذا التعارض على مدى القرون[٣٣] .

وكثيراً ما وجهت إلى الأبيقوريين تهمتان إحداهما حق — وهى التماس اللذة ، والأخرى باطلة — وهى « اللاأخلاقية » . ولكنا نقطع بأن أخلاقيتهم كانت من هذا الوجه أعلى من أخلاقية الرواقيين . لقد رفضوا المهادنة مع الخرافات واللامعقولية كما رفضوا التنجيم .

كان الفلك أساساً علمياً للتنجيم ، فى حين قدم دين النجوم تبريراً له . وقد يرتضى أهل العلم ذلك الدين ، ولكنه لم يكن يكفيهم على الإطلاق . ومع هذا ارتاحت مشاعرهم الدينية للشعر الميثولوجى ، واطمأنت شعائرهم ومناسكهم ومراسمهم لما وجدت فى الأسرار المقدسة كأسرار الأورفية والديونيزية . وهذا يذكرنا بأن ديونيسيوس[٣٤] . كان أحد الآلهة المحبوبين فى العالم الهللينى . وقد أضفى عليه طابع شرقى تحت اسم سابازيوس ، وهو إله فريجى خلعوا عليه شخصية كيريوس ساباؤث المذكور فى « سبتواجنت » والمسمى الإله الأعلى (Theos hypsistos) وما هذا إلا مثل من أمثلة كثيرة على استشراق الدين الذى كان يزدهر ازدهاراً ، لا فى مصر وآسيا وحدهما ، بل فى البلاد اليونانية وفى الأراضى الرومانية الغربية . وإن إحصاء للآلهة الأجانب ، المقدونيين ، والأناضوليين ، والفرس ، والسوريين وبلاد ما بين النهرين ، قد يطول جداً . وعلى الرغم من السعى الحثيث إلى إله واحد فإن النزعة الهللينية ، نزعة الجمع بين الآراء المختلفة ، وعبادة تيخى (الحظ) عبادة عمياء ، كانتا ماضيتين فى تقويض دعائم الدين[٣٥] .

قدمنا الكلام عن الآلهة المصريين الهللينيين فى الفصل الأول ، لأنهم كانوا رمزاً وحماية لأسرة البطالمة وللثقافة البطلمية . هؤلاء الآلهة لم يختصوا بمصر وحدها ، ولكن نقلهم اليونانيون إلى بلادهم ، بل إلى ديلوس ، ونقلهم الرومانيون إلى غربى البحر المتوسط . وفى معبد ديلوس كان الثالوث المصرى مؤلفاً من سارابيس وإيزيس وأنوبيس[٣٦] . ولكن الثالوث الأشهر هو سارابيس وزوجته إيزيس وابنهما حورس (هاربوكراتيس) . وقد كان سارابيس وإيزيس منقذين ، وأعظم من هؤلاء جميعاً إيزيس التى تطلعت إليها بالتدريج جميع المطامح الدينية فى عالم البحر المتوسط . كما هو مبين من ألقابها وأسمائها التى لا حصر لها . والناس فى الضراء والبأساء (ومن ذا الذى خلا من ذلك ؟) لم

يكونوا يريدون منقذاً فحسب . بل كانوا ينشدون أمًّا سماوية تمنحهم من لدنها عونًا وتأييداً paracleta . إن طقوس عبادة إيزيس المتقنة الرهيبة قد مهدت السبيل إلى طقوس سيدتنا مريم العذراء .

دين بنى إسرائيل

كان هنالك دين شرقى لم يستطع اليونانيون أن يستوعبوه ، وهو دين بنى إسرائيل . ولم يكن السبب فى ذلك قلة الاتصال المادى بين أولئك وهؤلاء ، إذ وجد فى عالم شرقى البحر المتوسط وفى الشرق الأدنى عدد من اليهود كبير . ولنذكر أن يهود فلسطين كانوا قد رحلوا إلى بابل أيام بختنصر سنة ٥٩٧ و ٥٨٦ ثم عاد كثيرون منهم بعد خمسين سنة أو أكثر من ذلك . غير أن كثيرين من اليهود لم يعودوا من بابل . ولم يصلوا إلى القدس ، بل استوطنوا فى أجزاء كثيرة من الأناضول وسوريا . وفى مصر وخصوصاً فى جزيرة الفنتين (قرب أسوان) وجدت مستعمرات يهودية قديمة جداً يرجع زمانها من القرن السابع إلى القرن الخامس . ومن سنة ٣٢٣ إلى سنة ١٩٨ كانت فلسطين جزءاً من مملكة البطالمة ، فتيسر لليهود أن ينتقلوا إلى الإسكندرية . ولكن أغلب الظن أن جزءاً كبيراً من يهود مصر المستوطنين كانوا مصريين مولداً .

وسرعان ما انقسم اليهود فريقين متعاديين ، فريق مال إلى الهللينية ، فاصطنع اللغة اليونانية والعادات اليونانية ، واتخذ أحيانًا أسماء يونانية ، وفريق آخر كان أكثر ولاء لتقاليده ، فرأى أن الآخرين خوارج و « متعاونون » ، وتكلم العبرية أو الآرامية على الأصح [٣٧] . وكان اليهود النازعون إلى الهللينية هم الحزب الأرستقراطى من شيعتهم فى المملكتين السلوقية والبطلمية . انعكست أفكارهم فى سفر « الجامعة » (الواعظ ، فوهلث) المكتوب بين سنتى ٢٥٠ و ١٥٠ ، وفى كتاب « حكمة بن سيرا » المكتوب حوالى سنة ١٨٠ [٣٨] . لقد كانوا يتكلمون اليونانية كما كانوا يتكلمون الآرامية ، وكانت معرفتهم بالعبرية

ضئيلة ، فكانت فى أغلب الأحيان مخلفات ألفاظ قديمة . ولم يكن اصطناعهم للثقافة اليونانية متضمناً تركهم لدينهم ، فقد كانوا يختلفون إلى المعابد التى تؤدى فيها شعائر العبادة باللغة اليونانية . وكانت العبرية التى يتكلمونها مشوبة بكلمات يونانية . مثل هذا الاندماج فى الشعب الحاكم مما لا يمكن تجنبه إلى حد ما .

وحوالى نهاية القرن الثالث ، وتحت حكم بطلميوس الرابع فيلوباتر (٢٢٢ — ٢٠٥) ، فشت النزعة اليونانية نزعة الجمع بين الآراء المختلفة وأخذ يقلدها بعض اليهود النازعين إلى اليونانية من الفريقين (اليونانى واليهودى) بعد أن خدعتهم المشابهات الخاطئة المضللة . وكان بطلميوس الرابع يصبو إلى إله واحد ، « ديونيسوس » ، الذى أضفيت عليه شخصية سابازيوس وساباؤث بل شخصية سارابيس . ولم يكن من شأن هذا أن يرضى كثيراً من الناس ، ولم يكن من شأنه أن يرضى اليهود على الخصوص ، حتى أولئك الذين كانوا يسمون « أدوناى » ، الإله الأعلى (Theos Hypsistos) .

وبقى من اليهود رهط كثير ، خصوصاً بين طوائف الشعب ، سواء أكان تمسكهم بالدين شديداً أم كان جهلهم عميقاً ، بمنأى من عدوى اليونانية . كانت معرفتهم بالفكر اليونانى هزيلة لا تخلو من الخطأ فى كثير من الأحيان . كانوا مثلا يعتبرون أبيقور رجلا ملحداً وساخراً ، وكانوا يستعملون وصف الأبيقورى على سبيل الزراية والتحقير [٣٩] . ولقد ظلوا يصنعون ذلك منذ الزمان ، ولكن لا يصح أن نسبق الحوادث .

ولما كانت الآرامية لغة اليهود الأصليين فقد احتاجوا إلى تفسير للكتب المقدسة فى ذلك اللسان . وكان هذا التفسير (الآرامى و «الترجم» ، « الشرح الكلدانى ») شفوياً ، ولذلك كان من العسير تحديد تاريخه . كان يمارس من نهاية القرن السادس (نهاية النفى البابلى) إلى آخر القرن الثالث أو بعده . وفى إبان ذلك كان كتبة اليهود (سفرم) يحاولون أن يحققوا النص العبرى . وكان عملهم بطيئاً جداً ، ولم يكن النص قد تم تحقيقه حتى القرن الثانى من التاريخ

المسيحى . أما « التراجم » المكتوبة (من حيث أنها مقابلة للتراجم الشفوية التى أشرنا إليها من قبل) فهى أيضًا مسيحية متأخرة (من القرن الأول إلى القرن الرابع وما بعده) . إن كتابًا فى الأسفار الخمسة بالعبرية قد كتب بالحروف السامرية لتقرأه طائفة السامريين فى القرن الثالث قبل الميلاد[٤٠] . وأخيراً بدئت ترجمة يونانية للعهد القديم فى القرن نفسه ، وهى الترجمة المسماة « سيتواجنت » ، وسنتكلم عليها فى الفصل الذى سنخصصه للاستشراق فى « الموسيون » .

تعليقات

(١) هذه المدارس عرضنا لها عرضا وافيا فى المجلد الأول .

(٢) كانت ميجارا تقع على المضيق الفاصل بين خليج كورنثه والخليج السارونيكى . ومن الممكن ، قياسا على أمريكا الوسطى ، أن نطلق على هذا الإقليم الواقع بين اليونان الشمالية والبلبونيز اسم « اليونان الوسطى » .

(٣) الإذعان (باليونانية « يوبيتيا » *eupeitheia*) ليس فى اليونانية كلمة تعبر عن هذه الفكرة كما تعبر الكلمة العربية « إسلام ».

(٤) إن معرفتنا بالمصطلحات الرواقية القديمة ناقصة ، لأن كل ماوصل إلينا مقتطفات من زينون وكليانتس . وقد استعمل زينون وكليانتس كلمتى *eudaimonia* ، *pronoia* وتحدث زينون كذلك عن *eupeitheia* (الاذعان) و apatheia (انعدام التأثر بالآ لام)وعن homonia (concordia). وقد استعمل ماركس أوريليوس لفظى apatheia, ataraxia (التحرر من الأهواء) واستعمل مشتقات مختلفة من كلمة coinos (المشترك) . ولعله واضع كلمة coinonoemosyne (الشعور بالأخوة) . وكلمة aphilochrematia (ازدراء المال) واردة فى كتابات بلوتارك . وكثيرمن الكلمات الرواقية (مثل كلمة ataraxia) استعملها أيضاً الابيقور يون الذين شاركوا الرواقيين فى الدعوة إلى السكينة .

(٥)أنشودة إلى زيوس (Hymnos eis Dia) فى ٣٨ سطرا . إنها توسع جميل فىدعاء «لتكن مشيئتك » .

(٦) عرفت البراءة الرواقية بألفاظ apatheia, ataraxia, aphilochrematia (بلوتارك) ويظهر التصادم بين عدم التأثر والبراءة من حين إلى حين، ومن العسير وضع حد بينهما. فمثلا كثيراً ماكان القديسون يتهمون بأنهم لا يتأثرون. وقد وجه اللوم نفسه – بحق –إلى الرواقيين، بل إلى أعظمهم.

(٧) نشرت اعتماداً على البرديات الهرقيولانية بعناية

Carolus Wilke, *Polystrati Epicurei peri alogu cataphroneseos libelus*

عن نقد الآخرين نقداً لايستند إلى العقل . (58 pp.; Leipzig, 1905)

(٨) انظر تفصيل ذلك فى الجزء الثالث (ترجمة عربية) ، ص ٣٥٦ – ٤٠٠ . جميع المدارس الفلسفية اليونانية فقد عرفت ووصفت فيه ، لأنها جميعاً كانت تراثاً للقرن الرابع .

(٩) ايليس فى الشمال الغربى للبلوبونيز . ولست أعرف هل المقصود بايليس هو المدينة أوالمقاطعة. إن أولمبيا التى كانت تقام فيها الألعاب الأولمبية كانت فى المقاطعة نفسها جنوبى مدينة ايليس وفيلوس (المقاطعة والمدينة) تقع فى الشمال الشرق للبلوبونيز . وكلمة Sillographos معناها كاتب قصائد هجائية Silloi .

(١٠) أنتيجونوس الثانى جوناتاس . ملك مقدونيا من سنة ٢٨٣ إلى سنة ٢٣٩ .

William Woodthorpe Tarn, *Antigonas Gonatas* (513, pp. Oxford 1913).

جوناتاس كان يقرب إليه الفلاسفة والشعراء كما كان يفعل أراتوس الصولى والمؤرخون مثل هيرونيموس الجارديانى .

(١١) هامش اشتقاق لفظ *Moira* اليونانى .

(١٢) يرى أفلاطون أن *moirai* (الحظوظ) هن بنات *Ananke* (الضرورة) وفى اللاتينية يطلق عليهن لفظ *Parcae* ، والأسماء المفردة هى : Nona, Morta, Decuma.

(١٣) Stephen d'Irsay, "Notes to the origin of the expression *Atra mors*", *Isis* 8,328-332 (1926).

وأتساءل عن معنى التطير فى كلمة *ater* ترى هل تلون بذكريات من أتروبوس . ولكن ديرساى لم يشر إلى ذلك .

(١٤) هذه الأفكار الفلكية والتنجيمية كانت قديمة فى القرن الثالث ق . م . أما التناظر بين العالم الكبير والعالم الصغير فكان من أصل إيرانى أو بابلى ، ويمكن أن يرجع به فى بلاد اليونان إلى أفلاطون وديموكريتوس (الجزء الأول (ترجمة عربية) ، ص ٣٧٢ ، ٤٣٩ ، الجزء الثالث (ص ٤٤ ، ٣٨٧) .

(١٥) اشتهر سفر رؤى سلاثيل باسم « الكتاب الثانى لعزرا النبى » أو ازدراس ، وهو غير موجود فى الأصل الآرامى ولا فى اليونانى ماعدا قطعة اكتشفت فى إحدى برديات أوكسيرنخوس ، ولكن فقط فى ترجمات لاتينية قديمة وترجمات شرقية مختلفة . لقد كتب فى الفترة بين ٦٦ — ٢٥٠ . وهو يحتوى على ست رؤى لسلاثيل وقعت بعد هدم القدس سنة ٥٨٦ بنحو ثلاثين سنة أى سنة ٥٥٦ .

انظر تحليل الكتاب فى Robert H. Pfeiffer, *History of New Testament Times* (New York, Harper, 1949) *Isis* 47, p. 230 (1950) pp. 81 - 867.

(١٦) هذا الاقتباس مستعار بترخيص من و . و . تارن W.W. Tarn, *Hellenistic civilisation*, (London, 1952) p. 346.

(١٧) عن كتاب *de Hebdomadis* انظر المجلد الأول ص ٢١٥ . انظر عن هيجل :

Horus : A guide to the history of science (Waltham, Mass. : Chronica Botanica 1952) p. 37.

(١٨) تكلمنا عن هذا بالتفصيل فى الجزء الثالث (ترجمة عربية) ، ص ١١٣ — ١١٧ .

(١٩) G. Sarton, "Lunar influences on living things" *Isis* 30, 495 - 507, (1939).

(٢٠) كان ذلك طبيعيا جداً لأن الفرس حكموا فى بابل ومصر حوالى هذا الزمن الذى بدأ سنة ٥٣٨ أو ٥٢٥ ، وانتهى فى كلا القطرين بفتح الاسكندر سنة ٣٣١ وبعد بضع سنوات سادت فيها الفوضى حكم بابل السلوقيون (٣١٢ — ١٧١) ثم البارثيون (١٧١ ق . م. — ٢٢٦ب . م.)

والساسانيون (٢٢٦ - ٦٤٦) ، وأخيراً المسلمون وبدأ التنجيم البابلى فى العصر الفارسى أما الضرب المعقد من علم الفلك فقد ظهر فى عهد السلوقيين . انظر الفصل التاسع عشر .

(٢١) *horoscopos* هو الرجل الذى يراعى ساعة الميلاد (لأن مايهم ليس هو اليوم فقط بل الساعة أيضاً) وكان يطلق على هذه العملية لفظ *horoscopesis* . ومن هنا جاءت كلمة horoscope وتدل على العملية لاعلى الشخص المبين للطالع .

(٢٢) هرمس ابن زيوس ومايا كان إلهاً للعلوم الخفية ، وكان مرادفاً للإله المصرى توت ، ويسمى عطارد عند الرومان . ولفظ "hermetic" يشير إلى العلم المستور ، والعجيب أنه يشير أيضاً إلى المغلق المحكم . كانت صناعة الكيمياء تسمى الفن المحكم الانغلاق ، وكانوا يتحدثون أيضاً عن الطب المحكم الانغلاق .

(٢٣) *Introduction* (Vol. 3, p. 453) نشر النص اللاتينى نشراً مثاليا بعناية فيلهلم جوندل فى

by Wilhelm Gundel, *Abhandlungen der bayerischen Akademie der Wissenschaften* (phil. hist. Abt., part 12, 386 pp., Munich, 1936).

والتحليل بقلم Claire Preaux, *Chronique d'Egypte*, 12, 112 - 115 (1937).

(٢٤) مارى كانت زوجة « شارل الرابع الجميل » ماتت سنة ١٣٢٤ . وإذن كانت الترجمة الفرنسية أقدم بكثير من قرن من النص الهارليانى اللاتينى المؤرخ سنة ١٤٣١ .

(٢٥) « المنازل اليونانية » تحتوى على النجوم المعروفة لأراتوس وهيبارخوس ، أما المنازل الأعجمية فتحتوى على نجوم أخرى معروفة لعلماء الفلك غير اليونانيين . والمصريون القدماء قسموا المنطقة الاستوائية إلى ٣٦ عقداً ، لكل واحد عشر (١٠) درجات . والبابليون والمصريون القدماء قسموا حزام منطقة البروج إلى ١٢ ساعة أو علامة لكل واحدة ٣٠ درجة ، وحيث إن الحزامين الاستوائى والبروجى يكتنف أحدهما الآخر فلم يكن من العسير على مجموعات النجوم أن تمر من منظومة إلى أخرى . انظر المجلد الأول ص ٢٧ ، ٢٩ ، ١١٩ .

(٢٦) دخل علم التنجيم الكلدانى العالم اليونانى قبل بيروسوس . كانت توجد آثار منه فى رسالة ثيوفراستوس عن العلامات (*peri semeion*) . وفى رواية بروكلوس « يقول لنا ثيوفراستوس إن معاصريه الكلدانيين كانت لهم نظرية رائعة تتنبأ بكل حادث ، بحياة وموت كل كائن بشرى » . فلم يكن تنبؤها مقصوراً على الآثار العامة كالطقس الحسن أو القبيح

Procli in Platonis Timaeum commentaria, ed. Ernest Diehl (Leipzig, 1906) Vol. 3, p. 151.

(٢٧) الجزء الثانى (ترجمة عربية « قوص من الناحية الأثرية ») ، ص ٣٣١ — ٣٤٣ .

(٢٨) طبعا ربما يستقطعون تسعة شهور من تاريخ الميلاد . وكان ذلك تعسفياً . ويوجد بالمتحف البريطانى مكتوب قديم يستعمل يوم الميلاد الفعلى ١٥ ديسمبر ٢٥٨ ق . م . وتاريخ

الحمل المشتق منه ، ١٧ مارس ٢٥٨ .

Frederick H. Cramer, *Astrology in Roman law and politics* (Philadelphia : American Philosophical Society, 1954) p. 14.

(٢٩) Seneca, *Quaestiones naturales*, VII, 3.

والفصل كله مخصص للكلام عن المذنبات . وفى وسطه (فصل ٧ فقرة ٢٥ ، ٤ — ٥) عبر سنكا عن رؤاه فيما يتصل بمستقبل العلم ، وعبر عن آراء من هذا القبيل فى رسالة إلى لوكيليوس (رقم ٦٤ ، ذكرناها فى المقدمة ، م ٢ ص ٤٨٤) .

(٣٠) بدأت نبوة سنكا تتحقق عند رجيومونتانوس الذى فحص مدار مذنب سنة ١٤٧٢ وعند تيكوبراهى الذى فحص مذنب سنة ١٥٧٧ . لقد تمت معارف الناس عن المذنبات ببطء شديد . فقد تراءى لجيوفانى ألفونسو بوريلى فى سنة ١٦٦٦ أن مدارات المذنبات ذات قطع مكافىء . وهذا أيده جورج صمويل دورفيل فى سنة ١٦٨١ بمناسبة مذنب سنة ١٦٨٠ . والواقع أن مذنبات كثيرة ذات قطع مكافىء ، ومذنبات أخرى ذات قطع ناقص ، ولكن غالباً مع اختلاف مركزى كبير . وقد أوضح ادموند هالى (١٦٥٦ — ١٧٤٢) هذه المسألة فى بحثه

"astronomiae cometicae synopsis" *Phil. Trans.*, 24, 1882 (1705).

المنشور منفرداً بالانجليزية (أكسفورد ١٨٠٥) وفيه أثبت رجوعا دوريا للمذنب نفسه ، « مذنب هالى » فى السنوات ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ ، وتنبأ برجوع آخر فى سنة ١٧٥٨ . وقد رجع بالفعل فى سنة ١٧٥٩ ورجع مرة أخرى سنة ١٨٣٥ و ١٩١٠ . ويمكن أن نقول إن هالى كان أول من حقق نبوة سنكا ولو متأخرا سنة ١٦٤١ .

(٣١) Franz Cumont, *L'Egypte des astrologues*, Bruxelles : Fondation égyptologique, 1937) (*Isis* 29, 511 (1938).

(٣٢) المصطلحان اليونانيان هما *symphonia* (أفلاطون ، أرسطو) و *sympatheia* (أرسطو وبلوتارك) .

(٣٣) انظر مناقشة التنجيم فى مقدمتى ، فى مواضع كثيرة . اطرحت الكنيسة الاحتفال بالتنجيم من الناحية النظرية ولكنها اضطرت أن تتهادن معه مرارا من الناحية العملية .

(٣٤) سمى ديونيسوس فى اللغة اللاتينية باخوس . والاسم اللاتينى فى الحقيقة مأخوذ من الأصل اليونانى الليدى Bacchos .

(٣٥) ذاعت نزعة الجمع الهللينية بين الناس ذيوعا جعلهم لايقتصرون على عبادة الآلهة الأجانب ، بل يعبدون أمشاجا منها . فمثلا ستراتونيس ملكة أنطيوكس سوتر الأول (من السلوقيين ٢٨١ — ٢٦١) زودت معابد أبوللون وديلوس بالآلهة السورية أتارجاتيس فى هيرابوليس ، وبالمصرى أنوبيس فى أزمير . أكانت تعتبرهم مظاهر مختلفة لإله واحد ، أم كانت تلتمس طريق الأمان فحسب ؟

(٣٦) كان أنوبيس إله الموتى يهتم بدفنهم وانتقالهم إلى العالم الآخر فى أمان . وقد كان اليونانيون ينظرون إليه على أنه هو هرمس (هرمانوبيس) . وكان ابن آوى مقدسا عنده ، والصقر عند حورس . إن رسوم صور إيزيس شديدة التعقيد كعبادتها التى انتشرت فى كل صقع وبقيت حتى نهاية القرن الرابع بعد المسيح ، وكان هدم سارابيون الإسكندرية على يدى الأسقف تيوفيلوس سنة ٣٩١ ق . م نهاية الدين المصرى فى العالم المسيحى .

(٣٧) كانت الآرامية (شكل قديم من أشكال السوريانية) هى اللغة الجارية فى الامبراطورية الفارسية ، وظل استعمالها شائعاً فى الشرق الأدنى على ألسنة اليهود وغيرهم . Introduction ، م ٣ ص ٣٥٦ .

(٣٨) Robert H. Pfeiffer, *Introduction to the Old Testament* (New York 1941) (*Isis* 34, 38 (1942 — 43) pp. 724 — 731).

(٣٩) الجزء الثالث (ترجمة عربية) ، ص ٣٦٩ . نسى الأصل التاريخى للإهانة بالتدريج ، كما يقع فى كثير من الأحيان . وكان سيمون بن زماح دوران (١٣٦١ — ١٤٤٤) الأول فى العصور الوسطى الذى قدر له أن يستكشف أن ابيقور كان فيلسوفاً يونانيا . (رسالة من سولومون جاندز بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٥٢) .

(٤٠) الانشقاق السامرى وقع فى القرن ٤٣٢ — ٣٣٢ . ومن هنا ربما يكون كتابهم « الأسفار الخمسة » قد كتب قبل سنة ٣٠٠ بقليل . والمكتوب السامرى هو تعديل حروف الهجاء الفينيقية القديمة التى رفضها اليهود من أجل توراتهم بعد سنة ٢٠٠ ق . م . بقليل .

انظر بفيفر : Introduction to the Old Testament pp. — 101 — 104.
وفى مواضع أخرى متفرقة ، وانظر « مقدمتى » Introduction, vol. 1, p. 15 إن فئة قليلة من الطائفة السامرية لاتزال موجودة فى نابلس أو شيخم على مقربة من جبل جريزم مكانها المقدس .